كيفية تفعيل

سيرة النبي ﷺ

وخلفائه الراشدين

في التعريف بالإسلام

د. عبدالله بن محمد آل يحيى الغامدي

مهتم بالتعريف بالإسلام لغير المسلمين

٢٥ شوال ١٤٤١هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد للّه رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين وبعد،،،

فمما كان بيني وبين أخي الدكتور صالح الدقلة وأخي الشيخ محمد باموسى العمودي من نقاشات حول تفعيل سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين في التعريف بالإسلام كانت هذه الكلمات عن أسلوب من أساليب التعريف بالإسلام في غاية الأهمية وهو: (أسلوب التتبع التاريخي).

وبعد أيام طويلة تداولنا فيها الحديث حول هذه القضية المهمة خرجت هذه الكلمات نسال اللّه أن ينفع بها ..

أولاً

تعد السيرة النبوية أفضل مادة تاريخية للتعريف بالإسلام بعد كتاب اللّه تعالى، وذلك لتميزها بالخصائص التالية:

١. وجود شواهد، ومبشرات، ببعض أحداثها في الكتب السماوية السابقة، فقد ورد ذكر الهجرة، وبعض صفات النبي ﷺ السلوكية.

٢. **دقة النقل:** فقد حظيت السيرة النبوية الشريفة بأدق منهج عرفه التاريخ في إثبات الأحداث، والوقائع، فالوثائق التي حفظت القرآن، والسُّنَّة، سيرةً، وعلمًا، هي أدق وثائق التاريخ على الإطلاق، فقد بلغ من دقة النقل أنها تنقل بالأسانيد المتصلة إلى يومنا هذا، وما كان منقطعا أو ضعيفا نبّه عليه العلماء، وتحتفظ المكتبة الإسلامية بقاعدة معلومات عن ملابسات وأحوال كل ما اعتمد نقله، بما في ذلك المعلومات الدقيقة عن أسماء الرجال وأحوالهم، وتواريخ وفياتهم، واتصالهم بمصادر المعلومة.

٠٣ السيرة النبوية الشريفة شاملة لشرائع الدين تقريبًا، حيث يلزم من عرضها عرض ما نزل من القرآن، وما استجد من أحكام ارتبطت بوقائع، وأحداث، ومواقف، وبالتالي فإن عرض السيرة النبوية يتضمن عرض الإسلام كدين له شعائر، وأحكام، مثل حادثة الإسراء والمعراج، وفرض الصلاة، وغيرها، مما تزخر به السنة المطهرة.

٠٤ تظهر رسالة الرحمة التي تميز بها الإسلام من خلال مواقف النبي ﷺ تجاه الضعفاء، والأقوياء، والأصدقاء، والأعداء، والسلم، والحرب، والكسب، والعطاء، وغير ذلك، من مواقف مشرقة.

٠٥ تظهر فيها بشرية النبي ﷺ ، وهذا يسهل على من يتلقاها فهم مضامينها وفق نموذج حي يمكن إدراكه بسهولة.

٠٦ تحمل تفسيرًا لكثير من المواقف من منطلق إسلامي، وهذا يساعد في الوقوف على جوانب من التعريف بالإسلام إزاء قضايا معينة، مثل موقف النبي ﷺ من تنفيذ بنود صلح الحديبية؛ كشاهد على احترام العهود والمواثيق.

٠٧ تضمنت السيرة النبوية الشريفة في ثناياها حوارات حول حقيقة الدين، والوحي، وتعرضت هذه الحوارات لطرح عدد من التساؤلات حول النبوة، وحول البعث، والنشور، وحول شرائع الدين، ومثل هذه الحوارات هي في حقيقتها تعريف بالإسلام، وعرض له، وتفسير لما جاء فيه، وعرض السيرة يسهم في تحقيق هذا البعد من التعريف، ومثال ذلك:

فقد نقلت لنا السيرة حوار النبي ﷺ مع ورقة بن نوفل، وحوار أبي سفيان مع هرقل ملك الروم، وحوارات النبي مع قريش.

٠٨ تضمنت السيرة النبوية عرضًا لبداية ظهور الإسلام، وموقف أتباع النبي ﷺ من الأذى، وهذا يعني أنها أبرزت النموذج العملي للدعوة للإسلام، كما أن هذا يظهر ما كفله الإسلام لأتباعه من بناءٍ نفسيّ، وعمليّ، ساعدهم على بناء حضارتهم دون ارتكاب أي أخطاء إنسانية متعمدة، وبالنظر لنموذج ما بعد الهجرة، أبرزت السيرة البناء المجتمعي، والحضاري، الذي أسسه الإسلام، لا سيما مع وجود ثقافات متعددة في المدينة.

٠٩ تضمنت السيرة وصفًا دقيقا للمعجزات التي أعطيت للنبي ﷺ؛ كدليل على صدق نبوته، وبالتالي صدق الإسلام، ومعلوم أن الإعجاز أحد أساليب التعريف بالإسلام.

ولتحقيق نتيجة فاعلة في التعريف بالإسلام عبر السيرة النبوية؛ هناك مجموعة من القضايا التي يمكن مراعاتها:

١. عرضها في سياق متتابع ليسهل فهمها وتتبع مراحلها.

٢. عرضها في تناغمٍ مع القضية المراد خدمتها، من خلال السيرة، مثل توظيف السيرة لعرض جوانب في شخصية النبي ﷺ، أو عرضها لتجلية التطور في التشريع، أو عرض السيرة لتجلية التساؤلات التي تسبق الدخول في الإسلام، ونحو ذلك.

٣. الاقتصار على الثابت، ففيه غنية عمّا لم يثبت.

٤. الوقوف عند مواضع التعريف التي يختارها المعرّف بلغة تساعد المتلقي من اكتساب المعرفة من خلالها، فالمتلقي قد لا يستطيع استجلاء بعض المفاهيم بلا مساعدة، ويجب أن تكون التعليقات منطقية، وغير متكلفة.

٥. مراعاة كليات الشريعة بصفةٍ عامةٍ عند التتبع الموضوعي في جوانب محددة في السيرة، خشية الوقوع في جزئيات مشتتة، فمثلًا مما قد يلاحظ عند دراسة الجانب السياسي في مواقف السيرة؛ أن الباحث يغلب عليه الحس السياسي، فيبالغ في تفسير المواقف، ويعتسف الدلالات دون مراعاة ملابسات أخرى ذات علاقة، مثل مرحلة الدعوة، أو الناسخ والمنسوخ، أو تدرج التشريع، أو مقاصد النص.

وعلى كل حال ستبقى السيرة النبوية مادة ثرية، ودفاقة، للتعريف بالإسلام تاريخيًا، وعقيدةً، وشريعةً، وحضارةً.

د. عبدالله بن محمد آل يحيى الغامدي

كيفية تفعيل
سيرة الخلفاء الراشدين
في التعريف بالإسلام

ثانياً

سير الخلفاء الراشدين والصحابة رضي اللّه عنهم:

تمثل سيرة أي عَلم في أي حضارة؛ جزءًا من التعريف بتلك الحضارة، ويمكن من خلال عرض السيرة الشخصية لذلك العلم؛ أن نعرض صورًا من المفاهيم، والاتجاهات، التي يمثلها، وسير الملوك تعد في الواقع أكثر السير تعبيرًا عن الوجه الحضاري لأي أُمَّة، فالقادة عبارة عن رموز تختصر مرحلة بأكملها، والخلفاء الراشدون رضي اللّه عنهم، كانوا يمثلون الأُمَّة عقيدةً، وسلوكًا، ويعبرون عن نبض الإسلام عبر مسيرتهم الشخصية، ومواقعهم القيادية، ولا شك أن عرض السيرة الخاصة لأيٍّ منهم يعني عرض للإسلام الحاكم، ولهذا فإن سيرة الخلفاء الراشدين كصورة من صور الأسلوب التاريخي في التعريف بالإسلام تتميز بما يلي:

١٠ أنها سيرة راشدة، تمثل الإسلام، لا سيما وقد وصى النبي ﷺ بالاقتداء بهم، حيث قال: «**عليكم بسنتي وسُنَّة الخلفاء الراشدين من بعدي، عضّوا عليها بالنواجذ..**»

وزكاهم في بيعة الرضوان، قال تعالى: {لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ({لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا (١٨)} [الفتح: ١٨]،

وكما في موقعة بدر الكبرى، قال - عليه الصلاة والسلام -: «**لعل الله اطلع على أهل بدر فقال: افعلوا ما شئتم فقد غفرت لكم**».

٢. أنها تمثل التطبيق العملي الأول للحياة بالإسلام بعد انقطاع الوحي، وموت النبي ﷺ، وهذا يظهر واقعية الإسلام وغناه المنهجي، بحيث لا يفتقر لأصول بناء الحياة السعيدة، ممَّا يساعد في التعريف بالسياسة الإسلامية للدولة، وضمانات الحقوق في النظام الإسلامي، حين يُطبَّق كاملًا، هذا من حيث سيرة الخلفاء، ومن حيث سيرة بقية الصحابة؛ يظهر الدور كاملًا، فيظهر دور الرعية في التعامل مع الولاة، ونظام الحكم، حين يعيش الشعب بقيم الإسلام ومسؤولياته، وهذه فرصة للمعرِّفين بالإسلام أن يبينوا للناس ما يكفله الإسلام للرعية حين يتمثل القادة شريعة اللّه، وما يكفله الإسلام للقادة، وللدولة، حين يحيا الشعب وفق دين اللّه تعالى، ولن تجد منهجًا يوزع المسؤوليات بشكلٍ متقن، بحيث لا تضيع حتى أبسط الحقوق مثل منهج الإسلام، ومن مصادر تجلية هذه السمة؛ السِّيرَ التاريخية لأعلام الإسلام في مواقع مختلفة من المسؤوليات.

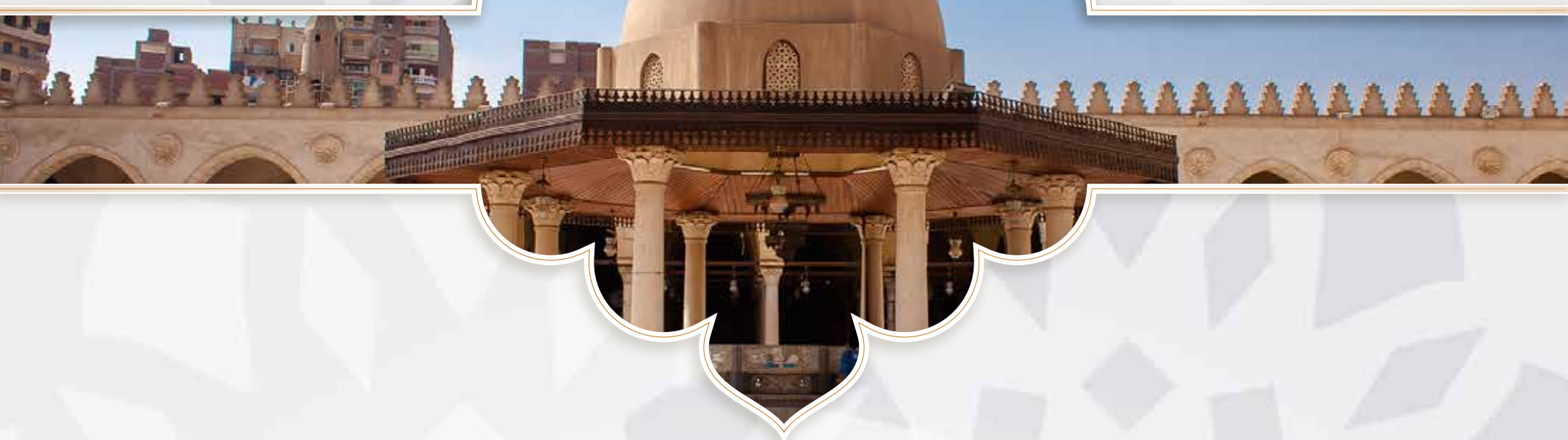

٠٣ أن سيرة الخلفاء الراشدين وبقية الصحابة رضوان اللّه عليهم؛ تظهر الدور الذي أحدثه الإسلام في شخصياتهم، ومعارفهم، وخبراتهم، رضي اللّه عنهم، وكيف تعرَّفوا هم على الإسلام؟ وماذا عرفوا فيه؟ ممَّا يسهل على المراقب تصور الإسلام من خلال النقلة التي أحدثها في الحياة، من خلال هؤلاء النخبة التي تمثلت الإسلام.

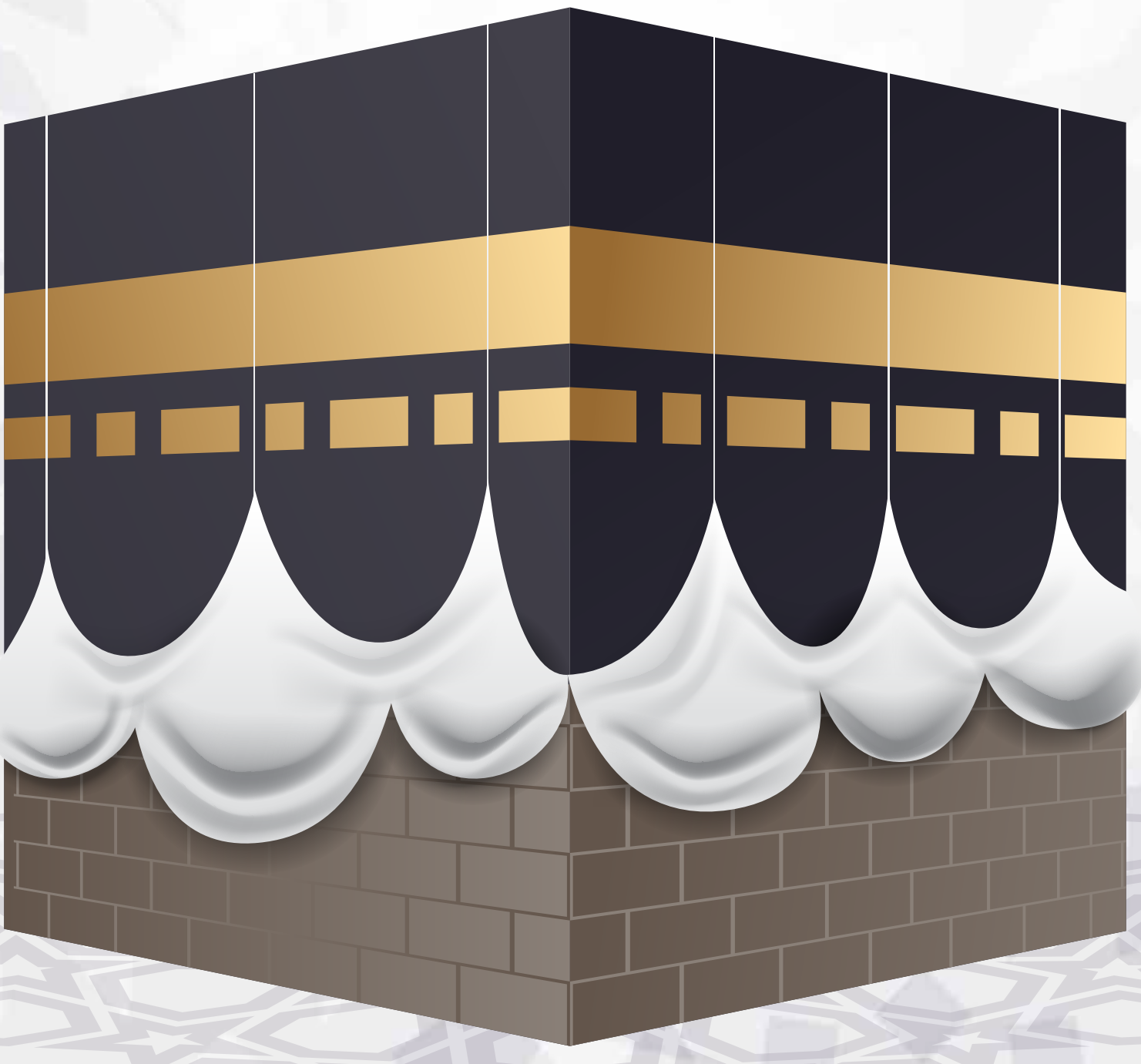

٤٠ أن سيرة الصحابة رضي اللّه عنهم يشملها ما يشمل السير بصفةٍ عامة، من حيث تعبيرها عن الفكر بلغةٍ عملية، عبر مواقف وأحداث، ولكنها تتميز بأن ارتباط تلك المواقف بالفكر كان وثيقًا، بمعنى أن مواقف التواضع، والإيثار، والحزم، والسمو الأخلاقي؛ لم تكن تصدر منهم كإملاءات عابرة اقتضتها لعبة السياسة، أو مصالح موقفية، أو عادات قبلية، بل كانت نتاج عقيدة، وخُلُق، هو في الحقيقة الوجه العملي للإسلام، ووفق هذه الميزة، فإن المعرّف بالإسلام حين يسوق أي موقف ثابت وواضح لأي من الخلفاء الأربعة، أو أي من الصحابة؛ فإن القيمة الدلالية للموقف لا تسقط، ولا يتطرق لها احتمالية تمنع الاستشهاد بها كنتيجة مباشرة لأثر الإسلام؛ لأنها مواقف معبرة، وليست مجرد حالات نادرة.

٥. أن سير الصحابة لا سيما مع توسع الفتوحات الإسلامية؛ تظهر احتكاكهم بمجتمعات مختلفة، وتعرضهم لتعاملات متنوعة في السلم، والحرب، وقد تركوا للتاريخ ميراثًا غنيًا، وثريًا، في التعامل مع كل الشعوب، والثقافات، والطبقات، عبر مختلف الأدوار، سواء كانت تجارية، أو سياسية، أو تعليمية، أو معايشة؛ وعرض سير الصحابة كممثلين للإسلام؛ يعني: **التعريف بالإسلام في كل هذه الأدوار.**

ومجمل ما ذكر يتيح لنا فرصة للتعريف بالإسلام عبر هذه الصورة التاريخية، من خلال عرضها بشكلٍ معين، يناسب هدف التعريف.

نسأل اللّه بمنّه وكرمه أن ييسر لهذا التراث من يسبر أغواره ويستخرج دره وينثر عطره في بساتين الدعوة المتلهفة للمورد الصافي والظل الوارف.

وصلى اللّه وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين